

إضاءات من الاستجابة للاجئين في الكاميرون

آنجيلا بيوتل

أصبح للاندماج بين لاجئي أفريقيا الوسطى والمجتمعات المحلية في الكاميرون تأثيرات تنموية بعيدة المدى في المنطقة والدولة ككل؛ وتقودنا هذه الملاحظة إلى إعادة النظر في أهمية أزمات اللاجئين ذات النطاق الضيق التي لا تحوز على القدر ذاته من الاهتمام.

سوف نفوت فرصة مهمة إذا ما تجاهلنا الأوضاع الأصغر حجماً من اللاجئين روابط أسرية قديمة مع الكاميرونيين، كما يشترك والأقل بروزاً جغرافياً وسياسياً مثل تلك التي ظهرت شرقي الكاميرون منذ عام ٢٠٠٥. ورغم قلة اهتمام وسائل الإعلام بهذا الوضع، فهو يقدم إضاءات مهمة حول كيفية إجراء الاستجابات الإنسانية اليوم والمسؤوليات المتعلقة بجعلها أكثر فعالية. فالمنظمات الإنسانية،

بدلاً من إنشاء المخيمات لاستيعاب تدفقات اللاجئين، تساعد اللاجئين في الاندماج في مدن الكاميرون. ويستقر الأشخاص المنتمون إلى قبائل بورورو وجبايا وسط جاليات تلك القبيلتين في الكاميرون وذلك فراراً من العنف السائد في جمهورية أفريقيا الوسطى. وكثير



مخرّبة آدم المتحدة الساجية للاجئين / أف بوي

أمدادو حياتو كان يعمل في مناجم الماس في جمهورية الكونغو الديمقراطية قبل أن يفر من بلاده بسبب العنف. الآن يعمل في حقول يشارك به مع جمعية تعاونية تضم غيره من اللاجئين في الكاميرون. "البطاطا هي الماس الذي أبحث عنه الآن!"

نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٣

التأطير. لكنّ هذا التركيز على الزراعة في حدّ ذاته يمثّل أحد العيوب المحتملة لنموذج الاندماج في مساعدة اللاجئين وهو تضارب المصالح بين اللاجئين ومجتمعاتهم المضيفة. فقد عانى الكاميرون عبر تاريخ طويل من العداوة والنزاع بين المجتمعات الزراعية المقيمة والمجموعات العرقية المتحرّلة، وتنتشر النزاعات حول حقوق استخدام الأراضي في تلك المناطق. وكان كثير من اللاجئين يعملون في الرعي في جمهورية أفريقيا الوسطى لكنهم الآن في الكاميرون يُطلب إليهم أن يكونوا مزارعين غير مترحّلين. ويُعدّ هذا التغيّر في أوضاع المعيشة واحتمال مشاركة الوافدين للمجتمعات المحلية الكاميرونية في الأراضي الزراعية مصادر محتملة لنشوب النزاع الذي يحتاج إلى المتابعة.

وتحاول المنظمات غير الحكومية التوسط لحل تلك المشكلة من خلال التحدث إلى القادة المحليين كي يسمحوا للاجئين بالدخول إلى الأراضي والزراعة فيها. لكنها وجدت أنّ الطريقة الأكثر فعالية للحفاظ على علاقة تعاونية بين اللاجئين والمجتمعات المضيفة تكمن في اشتغال البرامج الإنسانية لتلك المجتمعات المضيفة. فالمنطقة الشرقية في الكاميرون، مثلاً، معروف أنها «المقاطعة المنسية» نظراً لقلّة مواردها وقلّة المساعدات الإنمائية التي تلقتها مقارنة بالأقاليم الأخرى في البلاد. لكنّ الأغذية والأبار والمراحيض والمراكز الصحية التي توفرها المنظمات غير الحكومية للاجئين وللكاميرونيين على حدّ سواء تساعد في حث المجتمعات المحلية على الانفتاح على المهاجرين من أفريقيا الوسطى.

والمشكلة من تلك المنظمات غير الحكومية التوسط لحل تلك المشكلة من خلال التحدث إلى القادة المحليين كي يسمحوا للاجئين بالدخول إلى الأراضي والزراعة فيها. لكنها وجدت أنّ الطريقة الأكثر فعالية للحفاظ على علاقة تعاونية بين اللاجئين والمجتمعات المضيفة تكمن في اشتغال البرامج الإنسانية لتلك المجتمعات المضيفة. فالمنطقة الشرقية في الكاميرون، مثلاً، معروف أنها «المقاطعة المنسية» نظراً لقلّة مواردها وقلّة المساعدات الإنمائية التي تلقتها مقارنة بالأقاليم الأخرى في البلاد. لكنّ الأغذية والأبار والمراحيض والمراكز الصحية التي توفرها المنظمات غير الحكومية للاجئين وللكاميرونيين على حدّ سواء تساعد في حث المجتمعات المحلية على الانفتاح على المهاجرين من أفريقيا الوسطى.

ويمكن أن يتبيّن إثبات فعالية تلك الجهود المبذولة لتسهيل الاندماج في خيبة الأمل التي عبر عنها الوفد المحلي لوزارة الأمن الوطني. فموظفو الأمن يشعرون أنه من الضروري وجود متابعة دقيقة لمعرفة من هو اللاجئ ومن هو المواطن العادي كي يؤدّوا واجباتهم على أكمل وجه. ومع ذلك، يواجه هؤلاء الموظفون صعوبة في التفريق بين الاثنين. لكنّ ما يراه موظفو الأمن عائقاً قد يكون نجاحاً بالنسبة للمنظمات الإنسانية: ذلك أنّ لاجئاً إفريقياً الوسطى أصبحوا مستقلين ومكتفين ذاتياً وأصبح من الصعب التفريق بينهم وبين المجتمعات الكاميرونية المضيفة.

بناء القدرات والإنماء

يتمثّل تدفق الموارد الدولية أيضاً فرصة مهمة للكاميرون كي تعزز تنميتها الوطنية. إضافة للمساهمات في البنية التحتية، هناك تأثيرات أخرى ولو كان إدراكها أقل. وبينما لا يُعدّ بناء القدرات للمهنيين الكاميرونيين، على سبيل المثال، من النتائج المخطط لها للاستجابة الإنسانية، توظف المنظمات غير الحكومية التي تعمل في المنطقة الشرقية موظفين كاميرونيين وتزودهم بفرص للتطوير

ويمكن أن يؤدي بنا النظر إلى الأشكال المختلفة للأزمات إلى إعادة تأطير أسئلتنا حول الاستجابات المتعلقة بالأزمات: ما المنهج التي يتبعها نظام اللاجئين للتعامل مع الأزمات ذات النطاق الأصغر، مثل: الأزمة في شرق الكاميرون؟ وما الفرص المتاحة في تلك الأوضاع لوضع خطط لمساعدة اللاجئين؟ وكيف لنا أن نفهم تأثيرات خطط المساعدة خارج النطاق الإنساني؟ فعند إثارة تلك التساؤلات بالإضافة إلى وجهات نظر أخرى يصبح بإمكان قضية الكاميرون أن تساهم في فهم العمل الإنساني الحديث. ومن الجدير بنا أيضاً النظر في المناطق الأخرى التي يمكن تطبيق ذلك النموذج فيها بنجاح.

تخرجت آنجيلا بيوتل acbutel@gmail.com من كلية

ماكاليستر بعد دراستها لعلم الإنسان، وتعمل الآن مساعدة في البحث المتعلق بمشروع «المشاركة متعددة العقائد في المجال العام» في جامعة مينيسوتا.